قراءة في ومضة "طلب" لطاهر الدويني

د. جمال الجزيري

جامعة السويس، مصر

سأتناول في هذه الدراسة ومضة "طلب" للكاتب الليبي طاهر الدويني، وها هو نص هذه الومضة القصصية:

الورقة التي أردت الكتابة عليها تمنعت، قالت: تطهر قبل أن تدنو مني.

ومضة تقوم على أنسنة الأشياء، إذ تتحول الورقة هنا إلى كائن حي له ذاتيه الخاصة في مقابل ذاتية الراوي/الكاتب.

الشخصية الرئيسية ظاهريا هنا هي شخصية الكاتب الذي يستعد للكتابة. وأقول ظاهريا لسببين: أولا، لأن نص الومضة يبدأ بكلمة "الورقة" وينتهي بضمير متكلم على لسان الورقة ذاتها، وكأن الورقة لها الكلمة الأولى والأخيرة حرفيا ومجازيا. وثانيا، لأن الورقة من خلال تمنُّعها تُبدي

مقاومة لإرادة الراوي/الكاتب وتتمرد عليه، وبالتالي تكتسب سلطة أقوى من سلطته.

وعندما نمعن النظر في نص الومضة، نجد أن الورقة المتجسدة في شكل إنسان تستجوب إنسانية الراوي وتدرك تاريخه وأبعاد شخصيته، فهي تدرك أن الكاتب غير صالح للكتابة أو أنه يخون قلمه ويخون الحرف وبالتالي يخون الغاية من وجود الورقة ذاتها، وكأنه بكتابته على المنوال المعتاد عليه يقوم بانتهاك خصوصية الورقة واغتصاب الكلمات.

ولذلك يأتي أمر الورقة له بالتطهر كاشفا ودالا في سياق الومضة، كما أن هذا الطلب يقيم علاقة خاصة بين الكاتب والورقة، وكأن هذه العلاقة تناظر علاقة زواج أو عبادة بينهما، ولابد للكاتب أن يَمْثُلَ في حضرة الورقة أو يقترب من جسدها بقلمة وهو في حالة طهر، تيمنا بصلاح الكتابة التي ستنتج عن لقاء الكاتب وقلمه بهذه الورقة.

تتخذ هذه الومضة شكل بنية الاسم الموصول، وهي بنية يستخدمها الكثيرون من كتّاب الومضة القصصية، وتتكون من شقين: الشق الأول يتمثل في جملة الصلة التي تأتي تابعة للجملة الأساسية: "التي أردت الكتابة عليها". والشق الثاني يمثل الجملة الأساسية في الومضة: الورقة تمنّعت، [و] قالت: تطهّر قبل أن تدنو مني.

ويمكننا أن نشبّه هذه البنية باللوحة: فتأتي جملة الصلة في خلفية اللوحة وتأتي الجملة الأساسية في أماميتها أو واجهتها أو صدارتها. وواجهة اللوحة هنا تُبرز تمنّع الورقة التي يبدو أنها على علاقة وثيقة بالكاتب/الراوي، وتدرك أنه غير صالح للكتابة في هذه اللحظة، أو أنه غير مؤهَّلٍ لها، أو أن قام من قبل بتدنيس كتابته أو الكتابة بوجه عام.

وهذه الواجهة تحيلنا إلى الآية الكريمة عن طريق التناص: "**لَّا يَمَسُّهُ** إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ" (سورة الواقعة، 79). والتناص هنا لا يقيم علاقة تشابه مباشرة بين الورقة/الكتابة والقرآن الكريم، وإنما يؤكد على أن الكتابة ذات غاية سامية

تعلو فوق الجسد وفوق العلاقات العابرة، وترتبط ارتباطا وثيقا بجوهر حياة الإنسان على الأرض.

كما أن الومضة تجسّد الورقة أو تشخِّصُها في شكل امرأة نتيجة لتأنيث كلمة الورقة في اللغة العربية، وكأن العلاقة بين الكاتب والكتابة علاقة عشق، ولابد أن يصفو قلب العاشق حتى يصير صالحا لأن يلتقي بمحبوبته. وبما أن الورقة هي التي ستتلقى آثار قلم الكاتب هنا، وستمتلئ بالكلمات، لا تريد هذه الورقة أن تكون هذه الكلمات عابرة أو قابلة للزوال، ولذلك تطالب الكاتب بأن يكون مخلصا لها، وكأن الومضة تدعو لتقديس رسالة الكتابة وتدعو الكاتب لأن يحترم قلمه.

ومن الملاحظ هنا أن جملة الصلة – التي أردت الكتابة عليها – لا تضيف جديدا للومضة، لأن الدلالة الواردة في هذه الجملة مفهومة ضمنيا وصراحة من سياق الومضة ذاتها: فالورقة بوجه عام مخصصة للكتابة، والدنو من الورقة يعني ضمنيا فعل الكتابة. ولذلك كان من الأولى أن

يقدم الكاتب في جملة الصلة حدثا سابقا يثري الومضة ويلقي الضوء على مفهوم عدم تطهُّر الراوي.

بوجه عام، ومضة الاسم الموصول ذات بنية ثابتة نعم، ولكنها قابلة للإثراء من خلال إثراء جملة الصلة التي تأتي في خلفية الومضة، فمن خلال هذه الجملة يمكن للكاتب أن يزاوج بين الأزمنة وأن يرجع للوراء في الزمن ليقدم لنا لقطة سابقة تأتي تابعة للجملة الأساسية ولا تؤثر على وحدة الزمني اللحظي الماثل في الومضة، فالجملة الأساسية/أمامية الومضة تركز على لحظة واحدة، واللحظة السابقة تأتي تابعة لها في ثنايا اسم الموصول.